كتاب

»الفتح الرباني والفيض الرحماني «

هو أحد أشهر وأهم كتب التصوف السني والتزكية والإرشاد، وهو من تأليف الإمام العارف بالله، الشيخ **عبد القادر الجيلاني**)رضي الله عنه.(

إليك نبذة تفصيلية عن هذا الكتاب القيّم:

معلومات أساسية عن الكتاب:

- **المؤلف** :الإمام الشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى الجيلاني (أو الكيلاني)، المولود سنة ٤٧٠ هـ والمتوفى سنة ٥٦١ هـ. وهو أحد أكبر أعلام التصوف الإسلامي، وإمام المذهب الحنبلي في عصره، وإليه تُنسب الطريقة القادرية الصوفية المنتشرة في العالم.
- **طبيعة الكتاب** :الكتاب ليس مؤلفاً فقهياً أو عقائدياً بالمعنى الأكاديمي، بل هو عبارة عن **سجل لمجالس الوعظ والإرشاد** التي كان يعقدها الشيخ عبد القادر في مدرسته ورباطه ببغداد. يضم الكتاب ٦٢ مجلساً كانت تُعقد غالباً يوم الجمعة وفي صباح أيام الثلاثاء والآحاد.

محتوى الكتاب وموضوعاته:

يدور محتوى الكتاب بشكل أساسي حول **تزكية النفس، وترقيق القلوب، والإصلاح الروحي والسلوكي للفرد المسلم** .يخاطب فيه الشيخ الجيلاني مريديه وعامة الناس بلغة مباشرة وقوية، داعياً إياهم إلى العودة الصادقة إلى الله.

من أهم المحاور والمواضيع التي يتناولها الكتاب:

١. **التوبة الصادقة** :يحث الشيخ بشدة على ضرورة التوبة النصوح من الذنوب الظاهرة والباطنة، ويعتبرها أساس الطريق إلى الله.

٢. **الإخلاص** :يركز على أهمية تنقية النية وإخلاص العمل لله وحده، والتحذير من الرياء والسمعة وحب الظهور.

٣. **الزهد في الدنيا :**يدعو إلى عدم التعلق بالدنيا الفانية والإقبال على الآخرة الباقية، مع التمييز بين الزهد المشروع والرهبانية المبتدعة.

٤. **اتباع الكتاب والسنة :**يؤكد مراراً وتكراراً على أن الطريق إلى الله لا يكون إلا باتباع أوامر القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ ظاهراً وباطناً.

٥. **أمراض القلوب وعلاجها :**يتناول أمراضاً مثل الكبر، والحسد، والنفاق، والغفلة، ويقدم العلاج النبوي لها.

٦. **اليقين والتوكل على الله :**يربي في نفوس السامعين الثقة الكاملة بالله والاعتماد عليه في كل شؤون حياتهم.

٧. **الصبر والرضا والشكر :**يشرح مقامات السالكين إلى الله، وأهمية التحلي بالصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء.

أسلوب الكتاب:

- **مباشر وقوي :**يتميز أسلوب الشيخ عبد القادر بالصراحة والقوة والتأثير المباشر في القلوب، فهو لا يجامل ولا يداهن، بل يوجه النقد اللاذع للنفس الأمارة بالسوء وللمنافقين.
- **عاطفي ووجداني :**يخاطب الوجدان والقلب قبل العقل، ويهدف إلى إحداث تغيير حقيقي في سلوك الإنسان وعلاقته بربه.
- **مرتكز على القرآن والسنة :**يستشهد بكثرة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وقصص الصالحين لدعم مواعظه.

أهمية الكتاب ومكانته:

- يُعد من أهم مصادر التعرف على فكر الشيخ عبد القادر الجيلاني ومنهجه التربوي والروحي.
- يعتبر مرجعاً أساسياً في التربية الروحية والسلوك عند الكثير من المسلمين، وخاصة أتباع الطريقة القادرية.

- على الرغم من مرور قرون على تأليفه، لا تزال كلماته حية ومؤثرة حتى يومنا هذا، لأنها تخاطب فطرة الإنسان وحاجته الدائمة إلى خالقه.

اقتباس من الكتاب:

ليتضح أسلوبه ومضمونه، هذا اقتباس من أحد مجالسه:

"يا غلام، لا يكن همك ما تأكل وما تشرب وما تلبس وما تنكح وما تسكن وما تجمع، كل هذا هم النفس والطبع. فأين هم القلب؟ همك ما أهمك، فليكن همك ربك عز وجل وما عنده. كن من أهل الله، كن من أهل قلوب ترى الأشياء بإذن ربها عز وجل".

باختصار، »**الفتح الرباني والفيض الرحماني**« هو بمثابة دليل عملي للمسلم الذي يسعى إلى إصلاح قلبه وتقوية صلته بالله، من خلال مواعظ بليغة تلامس شغاف القلب.

++++++

الفتح الرباني والفيض الرحماني: نافذة على قلب "سلطان الأولياء🌟 "

في بحر التراث الإسلامي الزاخر، تبرز بعض الكتب كمنارات خالدة تهدي الحائرين وتُحيي القلوب. ومن بين هذه الكنوز، يلمع كتاب »**الفتح الرباني والفيض الرحماني**« للإمام العارف بالله الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه)، ليس ككتابٍ يُقرأ، بل كرفيقٍ يُعاش، وصوتٍ حي يخترق حجب الزمن ليخاطب أرواحنا مباشرة.

هذه المقالة هي رحلة للغوص في أعماق هذا السفر الروحاني، لنكتشف أسراره، ونستلهم من نوره.

من هو الإمام عبد القادر الجيلاني؟👳

قبل أن نفتح صفحات الكتاب، لا بد من معرفة صاحبه. هو الإمام محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني (٤٧٠-٥٦١ هـ)، الذي لُقّب بـ

"سلطان الأولياء" و"الباز الأشهب". لم يكن مجرد شيخ طريقة صوفية، بل كان إماماً حنبلياً فقيهاً، وعالماً مُتبحراً، ومربياً فذاً جمع بين الشريعة والحقيقة، وبين علم الظاهر وعلم الباطن. كانت مدرسته ورباطه في بغداد مركز إشعاع علمي وروحي، ومن هناك انطلقت كلماته التي جُمعت لاحقاً في هذا الكتاب.

من المجلس إلى المخطوط: قصة ولادة الكتاب✍️

»الفتح الرباني« ليس كتاباً ألّفه الشيخ وهو جالس في خلوته، بل هو تسجيل حي لـ 62**مجلساً وعظياً** كان يعقدها الشيخ في رباطه ومدرسته ببغداد. كانت هذه المجالس بمثابة عيادة روحية مفتوحة للجميع: للعامة والخاصة، للفقراء والأغنياء، للعلماء والتائبين. كان تلاميذه يدونون ما يفيض به لسانه من حِكم ربانية، فجاء الكتاب يحمل حرارة الكلمة المباشرة، وصدق الموقف، وقوة التأثير، وكأنك تجلس اليوم في مجلسه وتستمع إليه مباشرة.

الغوص في أعماق الفتح الرباني: أبرز المحاور🌊

يُبحر الكتاب في محيط تزكية النفس وإصلاح القلوب، ويطرق أبواباً يحتاجها كل سالك إلى الله. من أهم محاوره:

.1التوبة الصادقة: بوابة الطريق🚪

يُلح الشيخ الجيلاني على أن التوبة هي نقطة البداية الحقيقية. ليست مجرد كلمة تُقال، بل هي ثورة داخلية، وندم يحرق الذنوب، وعزم صادق على عدم العودة. خطابه عن التوبة قوي ولاذع، يهز الغافلين من سباتهم ويفتح لهم باب الأمل في رحمة الله.

.2الإخلاص وتطهير النية: جوهر العبادة💎

يعتبر الشيخ أن العمل بلا إخلاص هو جسد بلا روح. يحذر بشدة من الرياء، وحب الشهرة، والعمل لأجل الخلق. يدعو السالك إلى أن يغوص في أعماق نيته، ويمحصها، ويجعلها خالصة لوجه الله الكريم، فـ "همّك ما أهمّك."

.3الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة🕊️ ➡️ 🌍

لا يدعو الشيخ إلى ترك الدنيا بالكلية، بل إلى إخراجها من القلب. يصور الدنيا كقنطرة نعبر عليها إلى الآخرة، فلا يجوز بناء القصور فوقها. كلامه عن الزهد يوقظ في القلب الشوق إلى الله والدار الآخرة، ويُهوّن في عين المؤمن زخارف الدنيا الفانية.

.4التمسك بالكتاب والسنة: سفينة النجاة 📖

على عكس ما يُشاع عن بعض المتصوفة، كان الشيخ عبد القادر من أشد الناس تمسكاً بالكتاب والسنة. يكرر دائماً أن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي باطل. يرى أن الولاية الحقيقية لا تكون إلا باتباع النبي محمد ﷺ ظاهراً وباطناً.

.5طب القلوب وعلاج أمراضها 🩹❤️

يُشخّص الشيخ أمراض القلوب بدقة الطبيب الماهر: الكبر، الحسد، النفاق، الغفلة، طول الأمل. ثم يقدم لها العلاج من صيدلية القرآن والسنة، واصفاً لكل داء دواءه الروحي.

.6اليقين والتوكل على الله: مرساة المؤمن ⚓

في عالم مليء بالتقلبات، يغرس الشيخ في قلب مريده اليقين الثابت بالله والتوكل الصادق عليه. يدعوه إلى أن يرى الله هو الفاعل الحقيقي في الكون، وأن يلقي بحموله كلها على بابه، واثقاً في تدبيره وحكمته.

أسلوب يخترق القلوب: بلاغة الشيخ الجيلاني 🔥

ما يجعل «الفتح الرباني» كتاباً فريداً هو أسلوبه الذي يجمع بين القوة واللين، وبين الجلال والجمال:

- **الصدق المباشر :**يخاطبك الشيخ بـ "يا غلام"، "يا مسكين"، "يا منافق"، بلهجة لا تعرف المجاملة، هدفها إيقاظك لا إرضاؤك.
- **العاطفة الجياشة :**كلماته تفيض بالرحمة والشفقة، وتشعر بحرقة قلبه على حال الأمة ورغبته الصادقة في نجاتها.
- **التأصيل الشرعي :**كل فكرة يطرحها يدعمها بآية من القرآن أو حديث من السنة أو قصة عن الصالحين، مما يعطي كلامه وزناً وقوة.

- **لغة بسيطة وعميقة** :يستخدم لغة يفهمها العامي، لكنها تحمل معاني عميقة يغوص في بحارها الخاصة.

قبسات من نور الكتاب💡

"اجعل الحق عز وجل همك، فإذا استقر هذا في قلبك أتاك بهم الدنيا والآخرة".

"لا تطلب من الخلق شيئاً، فهم فقراء عاجزون. اطلب من الغني القادر الذي بيده ملكوت كل شيء".

"إذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فكن منها على حذر، فإنها خداعة غدارة قتالة لأهلها".

خاتمة: ليس مجرد كتاب، بل صحبة روحية 🌿

في النهاية، «الفتح الرباني والفيض الرحماني» ليس مجرد مجموعة من المواعظ، بل هو مرآة تعكس فيها نفسك، ودليل يرشدك في طريقك إلى الله، وصحبة مع شيخ رباني يمسك بيدك ويهمس في أذنك: "أقبل على ربك."

قراءته لا تغني العقل بالمعلومات فحسب، بل تغسل القلب من أدرانه، وتجدد الإيمان في الروح، وتجعلك تشتاق إلى أن تكون أفضل نسخة من نفسك... نسخة تليق بالوقوف بين يدي الله. إنه بحق، فتحٌ من الله، وفيضٌ من رحمته.

الفتح الرباني: أكثر من كتاب، إنه مدرسة للقلب 💖🏫

إذا كان الإصدار الأول من المقال قد عرّفنا بالكتاب، فهذا الجزء سيكشف لنا عن الروح التي تسري بين صفحاته، والمنهج التربوي الذي جعله بوصلة للسائرين إلى الله على مر العصور. «الفتح الرباني» ليس مجرد نص يُقرأ، بل هو **منهج حياة متكامل**، ومدرسة تربوية أسسها "سلطان الأولياء" لتظل أبوابها مفتوحة لكل من يبحث عن النور.

المنهج الجيلاني في التربية: تشخيص، علاج، تحصين🩺

ما يميز خطاب الشيخ عبد القادر الجيلاني هو منهجيته التربوية الفريدة التي يمكن تلخيصها في ثلاث خطوات متكاملة:

1.التشخيص الصريح والمواجهة(The Honest Diagnosis)

لا يبدأ الشيخ كلامه بوعود وردية أو أحلام خيالية. بل يبدأ بوضع مرآة أمامك، مرآة صادقة لا تجامل، لترى فيها حقيقة نفسك بوضوح تام. هو طبيب الأرواح الذي يشير مباشرة إلى موضع الداء:

- **مواجهة النفس الأمارة بالسوء :**يخاطبها مباشرة، يفضح حيلها ومكرها، وينزع عنها أقنعتها. "يا نفس، إلى متى هذا اللعب واللهو؟ الموت وراءك".
- **كشف النفاق الخفي :**لا يتحدث فقط عن نفاق الكفار، بل عن نفاق المؤمنين الخفي: الرياء في العبادة، وطلب السمعة بالعلم، وحب الدنيا المغلف بلباس الدين.
- **تسمية الأشياء بمسمياتها :**لا يتردد في استخدام كلمات قوية مثل "يا كذاب"، "يا منافق"، "يا عبد الدنيا" ليحدث صدمة إيجابية في نفس الغافل، توقظه من سباته العميق.

2.العلاج المتكامل والشافي(The Holistic Treatment)

بعد التشخيص القاسي، يفتح أبواب الرحمة ويقدم العلاج الشافي، وهو علاج يوازن بين كل جوانب النفس البشرية:

- **المزج بين الخوف والرجاء :**كما يصف أهوال الحساب وعذاب النار ليُخيف النفس، يصف سعة رحمة الله وجمال الجنة ليُشعل في القلب نار الشوق والرجاء ⚖️ .
- **ربط العلم بالعمل :**يشدد على أن العلم بلا عمل حجة على صاحبه. فكل مجلس من مجالسه ليس للتثقيف الذهني، بل هو دعوة مباشرة لتغيير سلوكي وتطبيق فوري 🚶➡️📖 .
- **الدواء من صيدلية الشرع :**علاجه دائماً مستمد من القرآن والسنة. فدواء الكبر هو التواضع المستلهم من سيرة النبي، ودواء البخل هو الإنفاق الذي أمر به الله.

3.التحصين بالإتباع واليقين(Fortification through Following)

بعد العلاج، تأتي مرحلة التحصين لمنع انتكاسة الروح. والدرع الواقي عند الشيخ الجيلاني هو:

- **لزوم الكتاب والسنة :**يعتبرهما الحصن الحصين الذي لا يُخترق. "طِر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد رسول الله ﷺ".
- **الصحبة الصالحة :**يحث على مصاحبة الصادقين والابتعاد عن أهل الغفلة والبطالة، فالمرء على دين خليله.
- **تسليم الأمر لله :**يربي في المريد الثقة المطلقة في حكمة الله وتدبيره، والرضا بقضائه وقدره، فذلك هو قمة الإيمان وراحة القلب 🤲 .

لمن يتحدث الشيخ؟ أربعة خطابات في خطاب واحد🗣️

من عجائب هذا الكتاب أنك تشعر أن الشيخ يوجه كلامه إليك شخصياً، مهما كان حالك ومقامك. ذلك لأنه كان يوجه خطابه لأصناف مختلفة من الناس في مجلسه الواحد:

١. **خطاب إلى "الغلام" (المريد الصادق)** 👦 :
هو خطاب المحب المشفق، المربي الحنون الذي يأخذ بيد السالك خطوة بخطوة، يعلمه آداب الطريق، ويحذره من مزالقه، ويبشره بالوصول.

٢. **صيحة في وجه "المنافق" (العالم بلا عمل)** 👺 :
وهنا يتحول صوته إلى صيحة غضب لله. يفضح الذين يتاجرون بالدين، والعلماء الذين يطلبون بعلمهم الدنيا، والعبّاد الذين يعبدون الناس لا رب الناس.

٣. **نصيحة لـ "أهل الدنيا" (الغافلين)** 💰 :
يخاطب الأغنياء وأصحاب السلطة بلغة يفهمونها، يذكرهم بزوال النعم، وبالموت الذي لا يفرق بين غني وفقير، ويدعوهم لاستخدام ما في أيديهم لخدمة دينهم وآخرتهم.

٤. **مواساة لـ "المبتلى" (الصابرين)😔 :**
يتحول خطابه إلى بلسم شافٍ لأصحاب البلاء والمصائب. يذكرهم بثواب الصبر، وحكمة الابتلاء، وأن كل ما يجري عليهم هو بعين الله ولحكمة عظيمة.

كيف تقرأ "الفتح الرباني" لتحقيق الفتح؟🔑

هذا الكتاب لا يُقرأ كأي كتاب آخر. للاستفادة القصوى منه، إليك بعض النصائح:

- **اقرأ بقلب حاضر :**لا تجعل القراءة ذهنية فقط. حاول أن تعيش كلمات الشيخ وتتخيل نفسك في مجلسه.
- **اجعله ورداً يومياً :**يكفي أن تقرأ صفحة أو اثنتين كل يوم، لكن بتدبر وتأمل عميقين.
- **توقف عند ما يلامسك :**إذا وجدت عبارة هزت قلبك، توقف عندها، كررها، واجعلها محور تفكيرك ودعائك في ذلك اليوم.
- **حوّل القراءة إلى عمل :**اختر نصيحة واحدة من كل مجلس تقرأه، واعقد العزم على تطبيقها في حياتك.

خاتمة: دعوة مفتوحة لمجلس لم ينتهِ

مجالس الشيخ عبد القادر الجيلاني لم تنتهِ بوفاته، بل بقيت حية نابضة في كتابه «الفتح الرباني». كلما فتحت صفحاته، فأنت تدخل مجلسه، وتجلس أمام شيخ رباني يفيض قلبه بالنور والرحمة. إنه دعوة مفتوحة لكل من يبحث عن الصدق، ويشتاق إلى القرب، ويرغب في أن يُفتح له باب السماء.

فهل أنت مستعد لدخول المجلس؟✨🚪

وها أنت ذا في المجلس. الهواء هنا مشبع بالهيبة، والقلوب واجفة، والأنفاس محبوسة. الشيخ على كرسيه، لا ينظر إلى الوجوه، بل إلى ما وراء الوجوه... إلى

القلوب. يسود الصمت، ثم يبدأ الكلام، وكأنه سيل يتدفق من بحر، فيخاطبك مباشرةً وكأن لا أحد في المجلس سواك.

هيا بنا نعيش تجربة مجلس واحد من "الفتح الرباني..."

المجلس: مرآة القلب وزاد الطريق ⛰️➡️❓

)يبدأ الشيخ بصوت يزلزل الغفلة من أركانها:(

"يا هذا! إلى متى وأنت واقف بباب الخلق؟ تطرق أبوابهم وهم فقراء مثلك، وتنسى باب الغني الذي بيده خزائن كل شيء؟ تزين ظاهرك للناس، وتترك باطنك خراباً ينعق فيه بوم الغفلة. أما تستحي من الله الذي يراك؟"

الخطوة الأولى: المواجهة مع النفس鏡

"انظر في مرآة قلبك الآن. ماذا ترى؟ هل ترى فيه الله، أم ترى فيه الدنيا؟ هل ترى فيه الإخلاص، أم ترى فيه حب المدح والثناء؟ هل ترى فيه التوكل، أم ترى فيه الاعتماد على الأسباب والناس؟

كن صادقاً ولو لمرة واحدة! اعترف بمرضك يأتك الدواء. قلبك هذا هو موضع نظر الملك، فكيف تجعله مزبلة للشهوات والشبهات؟ بيتك تكنسه كل يوم، وقلبك الذي هو بيت ربك تتركه مهملاً؟ ويحك! نظف البيت لصاحب البيت، وسيأتيك ليسكن فيه بنوره وأنسه".

)يصمت قليلاً، وكأنما يترك للكلمات أن تفعل فعلها في النفوس، ثم يكمل بصوت أرق، فيه رحمة وشفقة:(

الخطوة الثانية: التسليم مفتاح الفرج🔑

"يا مسكين، أتظن أنك تسير بقوتك؟ أو تُرزق بذكائك؟ أو تُحفظ بحرصك؟ والله لو وكلك الله إلى نفسك طرفة عين لهلكت.

الحل بسيط، ولكنه على النفس ثقيل :**سلّم الأمر كله إليه .**كن بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء. كن كالطفل الرضيع في حجر أمه، لا يعرف إلا إياها، ولا يثق إلا بها.

إذا سلمت له، كفاك. إذا توكلت عليه، أغناك. إذا رضيْت بقضائه، أرضاك. اخلع نعلي تدبيرك واختيارك، وادخل وادي التسليم المقدس. هناك، ستجد الأمان الذي تبحث عنه. هناك، ستنتهي حروبك الداخلية، وستذوق طعم السلام الحقيقي 🩹❤️ ".

الخطوة الثالثة: زاد الطريق 🚀

"والآن، بعد أن عرفت الداء والدواء، لا يمكنك السير في هذا الطريق فارغ اليدين. أنت بحاجة إلى زاد، وزادك أربعة أشياء لا خامس لها:

١. **الصدق المطلق (The Fuel of Truthfulness):** أن يكون ظاهرك كباطنك، وسرك كعلانيتك. الصدق هو سيفك الذي تقاتل به شياطين الإنس والجن.

٢. **الإتباع الكامل (The Map of Following):** لا تخترع طرقاً من عندك. طريق واحد واضح: طريق النبي محمد ﷺ. اجعل سنته هي دستور حياتك في كل صغيرة وكبيرة.

٣. **الذكر الدائم (The Lifeline of Remembrance):** اجعل لسانك رطباً بذكر الله. الذكر هو الماء الذي يروي شجرة إيمانك، وهو الحصن الذي يحميك من وساوس الشيطان.

٤. **الشكر المستمر (The Multiplier of Blessings):** اشكر الله على ما أعطى، وعلى ما منع. فالمنع منه عطاء، والبلاء منه دواء. بالشكر، تدوم النعم وتزيد.

إذا أخذت بهذا الزاد، فلن تضل ولن تشقى أبداً".

)يختم الشيخ المجلس ودعاء صامت يرتسم على وجهه، ونظرة تخترق القلوب، وكلمات أخيرة تبقى تتردد في سمعك وروحك:(

"ها قد انقضى المجلس، وانفضّ الجمع. لكن مجلسك مع ربك لا ينقضي. قم، فقد أخذت ما يكفيك. قم، فالطريق ينتظرك. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فربما لا يأتي الغد.

اذهبوا، والصدق رفيقكم، والإخلاص قائدكم، والكتاب والسنة سلاحكم، والله هو غايتكم ومقصدكم.

والسلام✨🙏 ".

هذه مجرد قطرة من بحر "الفتح الرباني". كل مجلس فيه هو دعوة متجددة لإصلاح العلاقة مع الله، وبوابة جديدة تُفتح لك على عوالم من النور والقرب.